الإنسان وعوامل التقدم الحضاري بين المنهج القرآني والمنهج المادي

محمد عبد الرحيم جمعة سليمان
Jamiah.duba@gmail.com
بجامعة خاتم المرسلين العالمية

الملخص: الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى. أما بعد:فإن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المنهج الشامل الكامل الذي يحمل بين طياته العلاج الناجع لكل ما تحمله البشرية من أمراض ويضمن لها السعادة في معاشها ومعادها.فمن المعلوم أن المنهج القرآني قد سلك طريقا تربويا رصينا في تربية الخلق يعتمد على قيم أصيلة، وأخلاق قويمة، وأساليب متعددة نافعة تتميز بالدقة والكمال وفق منهج علمي محدد ومباشر حيث أنه أعاد صياغة البشرية وفق مراد الله منها بعد أن أفسدها أعداءها من شياطين الإنس والجن.

المقدمة

بناء على هذا المنهج وضع له أسيجة تضبط علاقته مع أخيه الإنسان تحقق إنسانيته وتحفظ نوعه وهويته، وتتمثل هذه الأسيجة فيما يلي:أولا: السياج الفطري الذي يتمثل قي الجبلة الربانية التي خلقه الله عليها وهي جزء من الجبلة الكلية التي خلق الله عليها جميع خلقه وهذه الجبلة تقوم على حب الحق والخير على إطلاقه وبغض الباطل والشر على إطلاقه. ثانيا: السياج العقلي الذي هو جزء الفطرة المعبر عنها فهو قلبها النابض ولسانها الناطق وطاقتها الإدراكية الواعية التي بها يفرق بين الحق والباطل فترشده إلى الخير وتدفعه إليه وتنهاه عن الشر وتصرفه عنه. ثالثا: السياج المنهجي الذي يتمثل في الدين وهو المنهج الرباني الذي أنزله رب العالمين على أنبيائه ورسله لهداية الخلق وإرشادهم، إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم. ولقد عاشت البشرية أزهى عصورها الحضارية تحت ظلال هذه الخلافة فشهدت الأرض التقدم في كل نواحي الحياة ولعل الحضارة الإسلامية أصدق مثال على ذلك. ومما يؤسف له في هذا العصر ما نراه ونسمعه من ربط التأخر الحضاري بالدين بصفة العموم وبالإسلام بصفة خاصة حيث قام أدعياء الثقافة ومرتزقة الفكر بالترويج لهذه المغالطة مدعين أنه لا تقدم إلا بالانسلاخ من الدين. إنها والله مغالطة شيطانية خبيثة يروجها أصحاب المنهج الوضعي حتى ينزعوا الناس من الدين وما يحمله من قيم ومبادئ وأحكام راقية ومن ثم يستطيعون التحكم فيهم بعد أن يغرسوا فيهم الانحلال والشذوذ. من أجل هذا شمرت عن ساعد الجد وبحثت في هذا الموضوع الذي هو بعنوان: (الإنسان وعوامل التقدم الحضاري بين المنهج القرآني والمنهج المادي)

من أجل أن أوضح كيف اهتم القرآن بالإنسان وكينونته التي تمثل ذاته وحافظ عليها باعتبارها بنيان الله كما أبين موقف القرآن العظيم من مسألة التقدم الحضاري وأيضا لأدافع عن كتاب الله وأرد على هذه الشبهة التي دبرت بليل لتنال منه. أيضا أحذر القوم من مغبة السير على هذا المنهج الوضعي في طلب التقدم الحضاري والتقني على حساب الدين. كما أبين كيف بنى المنهج القرآني مجتمعا حضاريا عظيما طاهرا من الدنس والرجس والإثم والشذوذ بكل أنواعه. وقد شجعني على ذلك تناول آيات كثيرة من القرآن الكريم لهذا الموضوع تغطيه من كافة جوانبه فإن وفقت فمن الله وإن كان غير

ذلك فمن نفسي ومن الشيطان. وأعوذ بالله من الخذلان والفشل إنه بكل جميل كفيل وهو حسبنا ونعم وكيل.

حينما نتكلم عن الإنسان في التصور القرآني نجده يصور الإنسان كمخلوق وحيد في نشأته متفردا في عنصره مفطورا على الفطرة النقية الطاهرة مكرما في ذاته مفضلا على كثير من خلقه مميزا بعقله الذي تمحورت حوله كينونته كإنسان وهذا عكس المنهج الوضعي وتصوره للإنسان فهو يصوره ككائن مادي هلامي مجهول الأصل ، مبهم الغاية هدفه اشباع رغباته وتحقيق ملذاته الدنيوية.

وبناء على هاذين التصورين وجدنا أن هناك نوعين من الحضارة مختلفين كل الاختلاف:

الأولى: حضارة قامت وفق منهج الله وهي باقية على مر الدهور والعصور تتوارثها الأجيال بعد الأجيال كلما خبى ضوءها أرسل الله من رسله من يجددها ويعيد لها مجدها وبهائها.

الثانية: حضارة مادية ذات بريق خاطف يشبه السراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه يرتوي منه لم يجده شيئا فهي تعلوا وترتفع ثم تهبط وتندثر فجأة لتصبح أثرا بعد عين.

سنتكلم في هذا المبحث عن الإنسان في التصور القرآني والتصور المادي

المطلب الأول: الإنسان في التصور القرآني.

[1]أولا: خلق الله آدم خلق في أبهى صورة وأحسن تقويم

فهو مخلوق مكرم في ذاته مكرما في خلقته يقول تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍۢ) (التين:٤) يقول صاحب الوسيط: والتقويم في الأصل: تصيير الشئ على الصورة التي ينبغي أن يكون عليها في التعديل والتركيب والمراد بالإنسان هنا : جنسه. (١) والمعني: أن الله تعالى خلق الإنسان تاما في خلقته، متناسبا في أعضائه، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئًا يقول تعالى: (ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ)

---

[1] (١) تفسير الوسيط تفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى. ج١٥ ص٤٤٦

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء : ٣٠ (ج٣٠ ص١٧٥)

(٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ (ج١٧ ص٤٠)

(الانفطار:٧) يقول صاحب التحرير والتنوير: فإن الخلق والتسوية والتعديل وتحسين الصورة من الرفق بالمخلوق، وهي نعم من أجل نعم الله عليه. (٢) نخرج من ذلك بما يلي:

الأول أن تسوية الشيء أي جعله سويّاً، قويماً سليماً.

ثانيا: أنه من التسوية جعل قواه ومنافعه الذاتية متعادلة غير متفاوتة.

ثالثا: أن التسوية تنفي وجود الخلل فالإنسان أحد آيات الله في خلقه يقول تعالى: (وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ) (الذاريات:٢١) يقول القرطبي: والمعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصور، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصت به من أنواع المعاني والفنون فتبارك الله أحسن الخالقين. (٣)

رابعا: إن الذي خلق -سبحانه- من أخبرنا بكمال خلقة ما خلق...كمال يستحيل معه الخلل أو الاضطراب أو التناقض.

ثانيا مظاهر تكريم الله للإنسان.

ومن هذا الكريم أن الله تعالى جعله في مكانة عظيمة حين كرمه في ذاته فهو المفطور على الحسن في ذاته حيث أنه يحمل نفخة ربانية طاهرة نقية كما يحمل النفس الزكية المجبولة على الخير والعقل الذي يزن كل ما يدور في داخله فيحضه على الخير الذي يتفق مع الفطرة السليمة كما يزن ما يدور حوله فيقبل على الحسن [2] ويختاره وينفر من القبيح كما أنه جميل في صورته متوازن في خلقته يقول تعالى: (وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا) (الإسراء:٧٠) نقول جمعت

---

[2] (١) تفسير الفخر الرازي= التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ ج ٥ ص ٤٢١.

(٢) لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ مادة عقل (ج٩، ص٣٢٦-٣٢٧)

**صحيح الجامع الصغير وزياداته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد الأجزاء: ٢: (برقم: ١٠٦٨)

(3)أحمد عروة، العلم والدين؛ مناهج ومفاهيم، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ص٤٠.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: ٦، ج٤، ص٨٥.

الآية خمس مِنن من الله تعالى بها على ابن آدم التكريم ، وتسخير المراكب في البر ، وتسخير المراكب في البحر ، والرزق من الطيبات ، والتفضيل على كثير من المخلوقات.

ولعلنا في هذا المقام نركز على التكريم في الذات يقول الفخر الرازي: فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتية، مثل: العقل، والنطق، والصورة الحسنة. فجعله كريماً، عزيزا في نفسه غير مبذول ولا ذليل في صورته ولا في حركة مشيه وفي بشرته. (١)

ثالثا: العقل هو سر الكينونة الإنسانية.

والعقل في اللغة: هو مصدر من عقل يعقل عقلا معقولا والجمع عقول، يقال رجل عاقل هو الجامع لأمره ورأيه، والعقل مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه، والعاقل جمعه عقلاء. وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ ذلك من قولهم قد اعتقل لأنه إذا حُبسَ ومنع الكلام، واعتقل الدابة أي قيد حركتها ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم لصاحب الناقة: (أعقلها وتوكل)** (٢)

تنوعت التعريفات الاصطلاحية في العقل، فمنهم من قال العقل الوسيلة الواعية التي يستعملها الإنسان في خدمة الفطرة ليرفعها إلى مستوى المسؤولية والتكليف، إدراكاً للكون واستخداماً لما فيه من طاقات واستقصاء لأسراره ومقاصده (٣) ومنهم من قال: هو القوة المتهيئة لقبول العلم (٤)

نفهم من ذلك العقل هو سر هذا الكائن حيث إنه سبيله إلى التعرف على نفسه فبه علم وأيقن أنه كائن عاقل كما كان سبيله في التعرف على الخلق، وبصفة التعقل هذه أصبح سيدا قائدا لكل المخلوقات فعلى بني البشر أن يعرفو هذا العقل ويقدره ويرفعوا من شأنه فهذا العقل هو سبيلهم إلى معرفة الله وتوحيده وهو شرط التكلف[3] وإهانة العقل واحتقاره هي أهان للنفس وإهانة العقل تعني تعطيل الإنسان عن غايته التي خلق من أجلها ومن ثم يعيش مسلوبا متخبطا لا فرق بينه وبين البهائم وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في قوله تعالى: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ)

---

[3] (١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦ (ج ٢٦ ص ٤٦)

(٢) تفسير في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب الناشر: دار الشروق للنشر: دار الأصول العلمية سنة٢٠١٩ (ج١ ص٢٧)

(محمد:١٢) والمعنى أن هؤلاء الكافرين لا عبرة بهم في الدنيا لأنهم مسلوبون من فهم الإيمان لأنهم عطلوا عقوله ولما عطلوا عقولهم أصبحوا وهو والبهائم سواء فحظهم من الدنيا أكل وتمتع كحظ الأنعام ، وعاقبتهم في عالم الخلود العذاب يقول الألوسي: والمعنى أن أكلهم كان مجردا عن النفع فلم ينتج عنه تفكر ولا نظر، كما تقول للجاهل : تعيش كما تعيش البهيمة ، فأنت لا تريد التشبيه في مطلق العيش ، ولكن في خواصه ولوازمه . وحاصلة أنهم يأكلون غافلين عن عواقبهم ومنتهى أمورهم. (١) ومن رحمة الله بخلقه تكريم عقولهم بنور العلم وتكريم نفوسهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب إليهم، وبهاتين النعمتين جعل منهم الأولياء والأصفياء وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة. يقول تعالى: (وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) (البقرة:٣١) يقول صاحب الظلال: ها نحن أولاء نشهد طرفا من ذلك السر الإلهي العظيم الذي أودعه الله هذا الكائن البشري، وهو يسلمه مقاليد الخلافة. سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات. سر القدرة على تسمية الأشخاص والأشياء بأسماء يجعلها - وهي ألفاظ منطوقة - رموزا لتلك الأشخاص والأشياء المحسوسة. وهي قدرة ذات قيمة كبرى في حياة الإنسان على الأرض. ندرك قيمتها حين نتصور الصعوبة الكبرى، لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، والمشقة في التفاهم والتعامل، حين يحتاج كل فرد لكي يتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر هذا الشيء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه الشأن شأن نخلة فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا باستحضار جسم النخلة ! الشأن شأن جبل . فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بالذهاب إلى الجبل ! الشأن شأن فرد من الناس فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بتحضير هذا الفرد من الناس . . . إنها مشقة هائلة لا تتصور معها حياة ! وإن الحياة ما كانت لتمضي في طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات. (٢) وقد عطف ذكر آدم بعد ذكر مقالة الله للملائكة وذكر محاورتهم يدل على أن هذا الخليفة هو آدم وأن آدم اسم لذلك الخليفة.

المطلب الثاني: الإنسان في التصور المادي.

[4]بعد أن استعرضنا حقيقة الأنسان في التصور القرآني نستطيع أن نقول:

يصور القرآن العظيم الإنسان بأنه: الكائن المتفرد المستقل في نوعه الوحيد في نشأته المكرم في ذاته وحياته المفضل على الخلق صاحب أعظم غاية في هذا الوجود وهي خلافة الله في أرضه. ومعلوم أن العبادة هي الطريق الوحيد لهذه الخلافة كما أنها القلب النابض لها وأصل العبادة هو توحيد الله عز وجل.

إذا علمنا ذلك تيقنا أن الإنسان مخلوق له قيمة في هذا الوجود كما له غاية من وجوده. هذا على عكس تلك المناهج الأرضية خاصة الغربية منها التي تفاوتت فيها النظرة للإنسان بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الحديثة.

ففي الفلسفة اليونانية:

يعتبر الإنسان جزءاً من الطبيعة التي سعى الكثير لفهمها وتفسير ظواهرها عن طريق الفكر التأملي الذي ينظر في ماهية الأشياء لذلك وجدنا أن التفكير في هذه المرحلة منصبا حول ثم تبنى الفكر التأملي التفكير المتمركز على الذات الإنسانية، حيث ينظر للإنسان كقوة قاهرة لا يستطيع أحد أو شيء إخضاعها، وبهذا الفهم بات الإنسان المسؤول الأول عن ظروفه وأحواله. (١)

ولو أخذنا مثال لهذا العصر نقول: لقد أكّد سقراط على حرية الإنسان، وعدّ الجهل السبب الرئيسي للشرور والخطايا، فالمعرفة والتعلم هي أساس يفرق به بين فعل الخير والشر.

فالشخص الذي يحصل على المعرفة يقوم بفعل الخير؛ لأن الإنسان بطبيعته يسعى لذلك، ويبتعد عن الشر.

أما الفلسفة الحديثة فنجدها قد انقسمت إلى تيارات متباينة لكل تيار نظرته وتصوره للإنسان وسنعرض نظرة كل تيار على حدة.

أولا: الفلسفة الوجودية

---

[4] (١) سؤال الإنسان في الفكر العربي الإسلامي والليبرالي الغربي المؤلف بن علي محمد ٢٠١٣ رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة وهران كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم الفلسفة الجزائر (ص: ١٠ -١١)

(٢) منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة دراسة نقدية في ضوء الإسلام المؤلف المؤلف محمد عطا محمد أبو سمعا رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية بغزة فلسطين كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة سنة:٢٠١١(ص ٦٨-٧٠) بتصرّف.

والوجودية تيار فكري فلسفي ظهر في أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ويرجع اسمها إلى طبيعة اهتمام أعضائها بوجود الإنسان ويستخدم الوجوديون مصطلحات كثيرة يعبرون فيها عن الإنسان مثل ما هنالك، والوجود، والأنا والوجود لذاته، ويقوم مبدأ الوجودية على أن الإنسان له وجود قائم بحد ذاته وهو متفرد برأيه وغير موجه من أحد ويتحمل مسؤولية وجوده. (٢)

ومن خلال هذا التعريف تعددت نظرة الوجوديون للإنسان كل على حسب فهمه لهذا التعريف فمثلاً يعرفه هايدجر بأنه المخلوق الذي يكون في العالم الذي يحدده الموت، ويجربه القلق، ويعرّفه سارتر بأنه الكائن الذي لا يعرف الراحة أبداً، ويحيا بمعارضة ذاته. إذا تمعنا في هذه التعريفات نقول إن الوجودية في نظرتها للإنسان تصوره في صورة الكائن القلق، الممزق الذي يقتله شعوره العميق بالمسؤولية، أو إنه الشخص الكثير الكذب ولذا فهو غير مرتاح الضمير.

إذا أردنا أن نتناول نموزج للوجودية نجد أن سارتر يعبر عنها بشكل كبير حيث إن الوجودية في نظرية سارتر. من هنا نقول تتمثل الوجودية الإلحادية، التي أرادها سارتر فيما يلي:

١-إن الإنسان هو المسؤول عن وضع مقايس الحق والخير، وبذلك خالف جميع الفلاسفة المؤمنين، فقد أعطى الإنسان ما هو لله، مثل وضع مقايس الحق، والخير والجمال.

٢- أنه أنكر الخالق وأسقط مسؤوليته، وأنكر الضمير الذاتي المثالي.

٣- نظر إلى الإنسان على أنه شخص حر صانع لنفسه، وخالق لقيمه ومعاييره.

٤- نفى العاطفة واعتبرها غير موجودة في حياة الإنسان.

وبذلك نقول إن الوجودية تسلب الإنسان جميع المعاني التي يمكن أن يكرم من أجلها وبالتالي لاقت الوجودية وفي القلب منها نظرية سارتر انتقادا كبيرا على نطاق واسع لأسباب كثيرة نذكر منها:

أولا: لأنها دعت إلى التأمل العميق في الناحية المادية في الإنسان دون الالتفات إلى الجانب الروحي الذي له أعظم الأثر في إحياء عاطفة الإنسان وهو بناء قيمه.

ثانيا: عدم إعطاء القيم الإنسانية أي قيمة وبالتالي فهي تصنع إنسانا أنانيا لا يعترف إلا بذاته وملذاته دون النظر للآخر.

ثالثا: عندما تتكلم عن صناعة الإنسان لقيمه ومبادئه فهي تؤصل لفوضى في عالم القيم وتصنع من الإنسان كائنا هلاميا ليس له ضابط ولا رابط.

رابعا: بإنكارها لوجود الخالق وإسقاط مسؤوليته في حالة وجوده فهي تعلن شذوذها عن ناموس الوجود كما أنها تضع الإنسان على طريق الهلاك إذ أنها تتركه لقمة سائغة لشهواته وملذاته وأنانيته ومن هنا لا نستغرب ما يعانيه الغرب من سلوكيات شاذه قد تخرج عن المعقول الفطري.

خامسا: إنكار الضمير الذاتي الذي يؤنب الإنسان عن ارتكابه للشرور والآثام ويوجه الإنسان إلى الخير قد يصنع إنسانا مجرما قد يفني من حوله من أجله فقط دون أي شعور بالذنب فهو يرى نفسه فقط وعلى الصعيد المجتمعي حدث ولا حرج فالمجتمع الذي يتخلق بهذه الأخلاق هو مجتمع شرير يستخدم كل الوسائل القذرة كي يقوم ويحيى.

سادسا: إننا نقول إن الوجودية بهذا الشكل هي فلسفة هدامة ترفض القيم الإنسانية التي اجتمع الناس عليها استقر الضمير الإنساني على صلاحيتها واحترامها.

ثانيا: الإنسان في الفلسفة الواقعية.

[5]بدأت الفلسفة الواقعية في الظهور عند الإغريق، على يد الأدباء في هذا العصر وخفت وجودها بعد ذلك لمدة طويلة ولكنها عادت بقوة مع البدايات الأولى لعصر التنوير الأوروبي، وذلك بين القرنين الخامس عشر وكان لها وجود متميز في الثامن عشر الميلاديين، ثم تحولت بعد ذلك إلى تيار أساسي له وجوده في القرن التاسع عشر. والواقعية هي المذهب الذي يقرر للواقع الخارج عن التعقل وجوداً مستقلاً، ويقيس صدق الكلام بمطابقته للواقع. أوهي مذهب فلسفي يرى أن وجود الأشياء الخارجية لا يتوقف على إدراك العقل لها، فهي موجودة سواءً وُجد من يدركها أو لم يوجد. (١) من هنا نقول إن أهم ركائز الفكر الواقعي تتمثل فيما يلي:

١- ركزت الواقعية على أهمية الإنسان وتحريره من كل القيود التي قد تحكم تصرفاته وسلوكه.

---

[5] (١) منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة دراسة نقدية في ضوء الإسلام (ص: ٧) بتصرّف شديد.

(٢) نفس المصدر السابق صفحة ٨١-٨٥. بتصرّف.

٢- أن العقل البشري جوهر إنساني له كل الاعتبار وهو دائم البحث عما يجلب السعادة للإنسان والمقصود بالسعادة هنا هي السعادة المادية.

وحسب ما يرى إميل زولا وهو ممثل المدرسة الواقعية في الأدب الفرنسي، أن الإنسان ما هو في جوهره إلا حيوان مفترس يتخذ غرائزه الحيوانية أساساً لأفكاره، وأن الخير يزول بمجرد تقابله مع صراعات الحياة، فتظهر الحقيقة الشريرة للإنسان، كما قام دعاة الواقعية بربط الإنسان الغربي بغرائزه، ووجهوا نظره إلى التراب لا إلى السماء، وعملوا على إفساده وتحريك شهواته، وجعلوا كل شيء مباح عنده. (٢)

الإنسان في الفكر الشيوعي.

التفسير المادي هو المرجع الأساسي في الفلسفة الشيوعية فهي ترى أن الإنسان ما هو إلا مادة شأنه شأن الخالق، وجميع مجالات الحياة المرتبطة به، مثل الأسرة، والقيم المعنوية والمبادئ الفكرية، فكلمة السر في كل شيء هي المادة والمادة هي الأصل لكل شيء، وأنها الأساس الذي انبعثت منه الكائنات الحية وغير الحية، والمادة التي هي بنظر الشيوعية الخالق الذي أنشأ الحياة، والإنسان، ومشاعره وأفكاره. نخرج من ذلك بما يلي:

١- الشيوعية لا تعترف بوجود الإله وإن اعترفت به فهي لا تفرق بينه وبين باقي المخلوقات إذ إن الجميع يرجعون لأصل واحد هو المادة.

٢- أن المنهج المادي يخلوا من القيم والعواطف والمشاعر.

٣- أنها تعتبر الإنسان مجرد ترس في أله ليس من حقه شيء.

٤- تعتبر الشيوعية الأرضية الخصبة للفكر الإلحادي.

الإنسان في الرأسمالية.

تؤمن الرأسمالية بالإنسان إيماناً مطلقاً لا حدود له، وتجعله محور الحياة كلها، وفكرتها عن الإنسان تتلخص فيما يلي:

١- أن الإنسان أنه مجرد كائن مادي بحت خالي من الأفكار الأخلاقية والروحية.

٢- أن الإنسان كائن يهتم بغاياته ومصالحه الذاتية دون مصالح الأخرين.

٣- أن الإنسان لا يعطي المجتمع أي اعتبارات أو أهمية فذاته ولذاتها مقدمة على كل شيء.

وتسعى الدولة الرأسمالية في حماية الأفراد ومصالحهم الشخصية، وبتلك النظرة يبقى الإنسان في الرأسمالية يشعر بالخطر، وأنه في صراع مستمر سلاحه الوحيد فيه هو قوته الخاصة، وتحقيق مصلحته فقط هو هدفه. كما أن النزعة المادية التي قامت عليها الرأسمالية كانت سبباً في تخلي الإنسان فيها عن الأخلاق، وذلك لأن مصلحته الشخصية هي الهدف الأسمى والأعلى الذي يسعى إلى تحقيقه بأي وسيلة وإن كانت غير أخلاقية. نستطيع أن نخرج بتعريف جامع للإنسان في الفلسفة المادية فنقول: الإنسان في الفكر المادي بكل أشكاله مجرد كائن ذا أبعاده مادية بحته تحركه شهواته ويفني نفسه من أجل ملذاته تحكمه نفسه ومن ثم فعقله مقيد بهذه النفس وحاجتها مهما كانت...لا تحكمه أي ضوابط ولا تحده أي حدود عديم الأخلاق هو من يصنع قيمه ومبادئه بنفسه وفق مما يتماشى ويتوافق مع ذاته، يعيش عالمه بحريه لا حدود لها ولا ضوابط تحكمها ومن هنا نقول:

١- إن الإنسان في التصور المادي مجرد كائن بائس جامد منزوع الهوية الذاتية مطموس الفطرة متخبط المنهج.

٢- أن الإنسان كائن مجرد من الضمير الذاتي الذي يحكم تصرفاته فهو يفعل ما يشاء في أي مكان شاء وقتما يشاء.

٣- أن العقل في الإنسان المادي مجرد تابع للنفس مسخر لتلبية شهواتها.

٤- أن هذا الإنسان في المنهج المادي يستمد انضباطه في الحياة من خلال قوانين وضعية صارمة وضعتها الدولة لتسير الحياة.

المبحث الثاني: الحضارة وما هيتها.

بين يدي البحث:

منذ أن هبط الإنسان على الأرض وهو دائم الحركة والعمل وكان لابد لهذه الحركة وهذا العمل أن يكون له إنتاج يصورهما ويدل عليهما... هذا الإنتاج يمثل كل أنواع النشاط البشري العلمي والثقافي والتقني والمعماري والتعبدي العقدي والآثار هي بقايا هذا الإنتاج التي تحدثنا عن نشاط الإنسان في حقبة معينة ومدى تطوره وكيف كان مجتمعه ودرجة رقيه وهذا ما نسميه الحضارة، وعندما نتجول على سطح البسيطة نجد أنه لا تكاد

منطقة تخلو من آثار حضارة ما. وعلى مر الزمان شهدت الأرض الكثير من الحضارات التي كان لها آثارٌ واضحةٌ في مختلف أنحاء الكرة الأرضيّة، ولعل أكثر الحضارات أثارا الحضارة الفرعونية الرومانيّة، والإغريقيّة.

المطلب الأول: تعريف الحضارة.

[6]الحضارة في اللغةً:

الحضارة مأخوذٌ من الفعل حضر، وهي من الحضور والبقاء والاستقرار يقولون الحاضرة وهي القرية أو المدينة عكس البادية وهي مكان البدو الرحل والبداوة حياة أهل الصحراء والبادية التي يعيش فيها النّاس حياة الترحال يقولون فلان حضري أي أنه مقيم مستقر في مكان ويقولون فلان بدوي أي أنه من أهل الصحاري والفيافي. (١) والحضارة تعني الحياة المدنيّة أو الحضريّة التي يمارس النّاس فيها الزّراعة، والتجارة وغيرها من النشاطات الحضرية، ويعيشون في المدن، فالحضارة هنا تعني الاستقرار. (٢)

أما تعريف الحضارة في الاصطلاح.

يقول ابن خلدون إن الحضارة هي فرع عن البداوة لأن البداوة هي أصل العمران والأمصار مدد لها فالبدو هم: المقتصرون على الضروري من الحاجات والأقوات والملابس والمساكن أما الحضر فهم المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم (٣) وقد تنوع تعريف الحضارة بتنوع المشارب الفلسفية لدي العلماء الذين تصدروا لتعريفها فقد عرفها أحمد السايح بقوله الحضارة: هي الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافية والفكر ومجموع الحياة في أنماطها المادية والمنوية. (٤) ويعرفها رالف بدنجتون بقوله الحضارة هي

---

[6] (١) مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م عدد الأجزاء: ١ (ص:٧٥)

(٢) القاموس المحيط: ص: ٣٧٦

(٣) تاريخ ابن خلدون= ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ١ (ج١ ص:١٥٢) بتصرف شديد

(٤) الحضارة الإسلامية المؤلف: أحمد عبد الرحيم السايح الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة العاشرة - العدد الثالث- ذو الحجة ١٣٩٧هـ - نوفمبر تشرين ثاني ١٩٧٧م عدد الأجزاء: ١ (ص:٧٠)

(٥) العرب والحضارة العلمية الحديثة المؤلف سمير عبده ١٤٠٢هـ الناشر دار الآفاق الجديدة بيروت:(ص:٢٧)

حزمة الأدوات الفكرية والمادية التي تمكن شعب من الشعوب من قضاء حاجاته الاجتماعية والحيوية بإشباع وتمكنه من التكيف مع بيئته بشكل مناسب. (٥) ونحن في هذا المقام نستطيع أن نستنج هذا التعريف للحضارة من خلال ما ذكر من التعريفات فنقول الحضارة تعني مجموعة المظاهر العلمية والأدبية، والفنية، والتقنية والاجتماعيّة، التي يعيشها مجتمع من المجتمعات. فهذا التعريف يرصد تلك المظاهر العلمية والثقافية والتقنية التي تساهم في نقل المجتمع من حالة التخلف والانحطاط إلى حالة التقدم والازهار يقول مالك بن نبي: الحضارة هي جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر[7] لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره؛ فالفرد يحقق ذاته بفضل إرادة وقدرة ليستا نابعتين منه، بل ولا تستطيعان ذلك، وإنما تنبعان من المجتمع الذي هو جزء منه. (١) الحضارات الإنسانيّة هي مجموع ما قدمته المجتمعات البشرية في تاريخها من معارف بكل أشكالها وتقنيات بكل أنواعها ومظاهر التشييد بكل أشكالها. أما البناء الحضاري للبشرية فيعني محصلة العطاء الحضاري منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا حيث إن كلّ حضارة جاءت متمّمةً للحضارة التي سبقتها، إلى أن نصل إلى العصر الحالي وهذا يعني أن كل الحضارات قد أُسهمت في البناء الحضاري الإنساني للعالم بأكمله بشكل أو بآخر. فالحضارة الإغريقيّة والفرعونية واليمنية والصينية وغيرها من الحضارات القديمة التي تميّزت بوضع أساسات البناء الحضاري، وجاءت الحضارة الإسلاميّة وعملت على ازدهار هذا البناء الحضاري، ومن بعد المسلمين جاء الأوروبيون وطوّروا هذا البناء الحضاري. ومن هنا نقول إن مفهوم الحضارة يعبر عن رصد حالة مجتمعٌ بشريٌّ، بكل أطيافه ونشاطاته المختلفة والمتعددة ويتميز بعدة خصائصٍ كالتطور الفكري والثقافي والتقني وغيره، كما يضم هذا المجتمع عادةً مدنًا مختلفة.

أقسام الحضارة:

تنقسم الحضارة من حيث الإنتاج إلى قسمين:

---

[7] (١) مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، المؤلف: مالك بن نبي دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ترجمة الدكتور بسام بركة، الدكتور أحمد شعبو، إشراف وتقديم المحامي عمر مسقاوي، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. (ص:٤٢)

(٢) المصدر السابق (ص:٤٢) بتصرف شديد

الأول: الحضارات إلى جيدةٍ من الناحية الأخلاقية والمتطورة ثقافيًا، وفكريا وتقنيا وهي الحضارة التي ترتقي بالإنسان وتعزز من قيمه وترفع أخلاقه وتسموا بعقله وثقافته.

الثاني: حضارات منحطة من حيث الفكر والثقافة والخلق ومتخلفةً في الناحية التقنية وهي تلك الحضارة التي ليس للإنسان فيها قيمة. وعلى العموم نجد أن هذه تقسيمات نظرية أكثر منها تطبيقية فهناك من المجتمعات التي قد تكون متأخرة في الناحية التقنية لكنها تمتلك رصيدا عظيما من القيم الراقية والأخلاق النبيلة والمبادئ السامية. أما من ناحية القاعدة المنهجية والفكرية نجد أن مالك بن نبي يقسمها إلى حضارة روحية وحضارة مادية.

١- الحضارة الروحية هي الحضارة التي تستقي قواعدها من منهج سماوي.

٢- الحضارة المادية هي الحضارة التي تستقي قواعدها من مناهج أرضية.

وبناء على هذا المعيار يجد أن العالم الغربي ذو الأصول الرومانية الوثنية قد اختار عالم الأشياء، وجنح بصره دائمًا نحو المادة والعقل وكان نظره دائما إلى الأرض. بينما اختارت الحضارة الإسلامية عقيدة التوحيد المتصلة بالرسل جميعًا قبلها؛ فسبح خيارها نحو التطلع الغيبي وما وراء ا .فدائما نظرت الحضارة المادية إلى الأرض في الوقت الذي تطلعت فيه حضارة أهل القرآن إلى السماء. (٢)

المبحث الثالث: الحضارة في التصور القرآني.

[8]من العجيب أن ترى القرآن العظيم يصور مراحل نمو الحضارة التي ذكرناها في المبحث السابق في أكثر من موضع منه مبينا أن الحضارات ماهي إلا نموزج حياتي يعيشه الإنسان وأن العبرة بتعبيد هذه الحياة في كل مرتحلها لله رب العالمين.

يقول تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ

---

[8] (١) تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١ (ص:٣٦١)

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ"(ج٤ص٢٦٠)

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢ جزءا (ج١١ص٢٨٤)

عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (يونس:٢٤) يقول السعدي: وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، وما يجري عليها من تغير الأحوال فإن لذاتها وشهواتها وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتًا قصيرًا، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلئ القلب من همها وحزنها وحسرتها. (١)
يقول ابن كثير: ضرب تبارك وتعالى مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها ، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء ، مما يأكل الناس من زرع وثمار ، على اختلاف أنواعها وأصنافها ، وما تأكل الأنعام من أبٍّ وقَضْبٍ وغير ذلك ، (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) أي : زينتها الفانية ، (وازينت) أي : حسنت بما خرج من رُباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ، (وظن أهلها) الذين زرعوها وغرسوها (أنهم قادرون عليها) أي : على جذاذها وحصادها ، فبينا هم كذلك ، إذ جاءتها صاعقة ، أو ريح باردة ، فأيبست أوراقها كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك.(٢) يقول الشيخ محمد رشيد رضا ، رحمه الله : والعبرة لمسلمي هذا العصر في هذه الآيات البينات التي اهتدى بها الشعب العربي فخرج من سركه إلى نور التوحيد والحكمة والحضارة ثم انتقلت هده الدعوة المباركة إلى قلوب ملايين البشر من بلغ هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها والآن لم يبق لهم حظ منها إلا ترتيلها بالنغمات والمآتم والمناسبات ولا يخطر لهم ببال أنه يجب عليهم التفكر للهتداء بها ولو تفكروا لاهتدوا ولعلموا أن كل ما يشكوا منه البشر من الشقاء والأمراض الاجتماعية والروحية والرذائل النفسية والعداوات القومية والحروب الدولية فإنما سببه التنافس في متاع هذه الدنيا وعلاجه في هذه الآيات البينات نسأل الله صحوة لأهلها ليسعدوا أنفسهم وغيرهم بها حتى يعود السلم والأمان في الأرض كما فعل أسلافهم من قبل. (٣)

ومن هنا نقول ما يلي:

أولا: أن القرآن العظيم حينما يصور الحياة الدنيا على مكان ما من الأرض تصوير دقيقا فإن هذه التصوير ينطبق على الحضارة التي تمثل الحياة في مكان ما من الأرض.

ثانيا: أنك عندما تلقي نظرة على الأرض بأماكنها ستجد أن هذا المثال يتجدد بشكل دائم ومستمر حتى تترسخ العبرة وتتأكد الموعظة في قلوب الخلق فستجد مكانا ذا حضارة مزدهرة وفي مكان ثان ستجد حضارة في طريقها للأفول وفي مكان ثالث ستجد آثارا لحضارة مندثرة قد جار عليها الزمن وفي مكان رابع تلاحظ حضارة في بداية تشكلها وهكذا.

ثالثا: أن أهل الحضارة المعاصرة أن ينظروا إلى ما كان قبلكم من الحضارات ويتفكروا ويعلموا أن نعيم الدنيا مهما علا فإنه إلى زوال فلابد من العمل على إعادة مجد حضارة التوحيد لإعادة الناس إلى عدل الإسلام بعد أن أضناهم جور الأديان.

رابعا: أنه إذا كان القرآن قد وضع بين أيدينا منهجًا متكاملاً لأصول التربية يكمن ذلك أنه جعل مدار عمل الإنسانية يصب في هدف واحد هو تحقيق خلافة الأرض وبالتالي فهو يضع الحضارة داخل هذا الإطار العام ومن هنا نقول أن الحضارة في المنظور القرآني هي ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة داخل إطار المنهج القرآني والعظيم فإذا تيقنا في ذلك ظهرت لنا المشكلة التي تُعانى منها مسيرة البشرية وجهودها حيث إننا سنجد أنفسنا أمام نوعين من الحضارة. حضارة قرآنية وهي المرتبطة بالمنهج التربوي القرآني وهي تلك الحضارة التي كتب لها الديمومة فقد تمرض ولكنها لا تموت وهي دائمة العطاء حتى في مرضها.

وحضارة مادية وهي تلك الحضارة الخارجة عن نطاق التربية القرآنية التي قد لا تؤدى إلى الأهداف المرجوة منها؛ فقد تشقي البشر ولا تسعدهم!! ومرد هذا البلاء إلى أحد سببين:

أولهما: رعونات النفس الإنسانية وأهواؤها التي إن تركت بغير حسيب ولا رقيب فأن تحمل أصحابها على الظلم والطغيان في الأرض وهذا ما نراه عيانا بيانا من الحضارة.

وثانيهما: أن الناس قد ضلوا عن حقيقة الخير والشر بسبب عدم وجود المنهج الضابط مما أدي إلى وقوعهم في متاهات المواضعات والأعراف النسبية، والمقاييس المتعددة المتضاربة لمعنى الخير والشر.

ومن نجد أننا أما حتمية وجود المنهج الضابط الذي يضبط المسار القيمي الأخلاقي الذي يحسن عمارة الأرض. ولن تجد البشرية خيرا من المنهج التربوي القرآني للقيام بهذه المهمة

فهو من لدن حكيم خبير يقول تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ) (الملك:١٤) فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! إنه اللطيف الذي من لطف علمه أدرك السرائر والضمائر، والخبايا والخفايا فهو من يعلم السر وأخفى ومن ثم فهو الذي يلطف بعبده ووليه، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب، بأسباب لا يعلمها إلا هو.

المطلب الثالث: الحضارة الإسلامية بين البناء والعطاء.

علمنا مما سبق أن الحضارة في المفهوم القرآني تعتني بالإنسان المعول عليه في بناء الحضارة حيث إنها تخضعه لمنهج تربوي رباني رصين غني بالمبادئ القويمة والقيم الأصيلة والأخلاق النبيلة كما تربية على حسن التعرف على حقيقة ذاته، والمراد منها وحياته والمقصود بها والمآلات الصحيحة التي ينبغي أن تكون لها كما تربيه على كيفية التعامل مع مفردات الكون المحيطة به وذلك بما ينفعه في معاشه ومعاده. ومن ثم يبنى المجتمع السليم العصي على أي انحراف أو زلل مما يعني بناء حضاريا متينا ذا أسس رصينة وكان نتيجة ذلك الصرح العظيم الذي ينتشر على أكثر من الكوكب.

وعلى ضوء ذلك نرى أن العامل التربوي هو من يقود التفاعل الإنساني مع بقية أركان الحضارة المتمثلة في الكون والحياة وبناء عليه يكون الحكم على الحضارة الناجحة النافعة من الحضارة الفاشلة الفاسدة من خلال الإنسان ورصيده التربوي يقول مالك بن نبي وما قامت في التاريخ الإنساني حضارات جانحة؛ أفسدت بدلاً من أن تصلح، وأشقت بدلاً من أن تسعد؛ مما قد سمعت به من أحوال أمم قد خلت وبادت؛ إلا لأن أصحاب تلك الحضارات أخطأوا في تصور حقيقة كل من: الإنسان، والكون، والحياة... ثم مضوا يبنون تصرفاتهم وتعاملهم مع الكون والحياة على أساس تلك الأخطاء.

من هنا نقول إن أركان أية حضارة إنسانية صحيحة على مر التاريخ الإنساني الطويل هي نفسها أركان التربية الربانية التي تتلخص فيما يلي:

أولا: الإنسان وهو عمود الحضارة ومحورها.

ثانيا: الكون وهو ميدان الحضارة المكاني

ثالثا: الحياة وهو يمثل ميدان الحضارة الزمني.

أسس الحضارة الإسلامية

يمكن أن نجمل أهم الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية فيما يلي:

١- الأساس العقيدي: التوحيد: لقد أرسى المنهج القرآني العظيم العقيدة السليمة بأركانها الثلاث المتمثلة فيما يلي:

التوحيد الذي يحقق توحيد الألوهية حينما خاطب مُشرِكي مكة بأنه إنه لا يكفي توحيد الربوبية الذي هم عليه، أي: "الإقرار بأن الله هو رب كل شيء وخالق كل شيء، بل لا بد أن يقترن هذا الإقرار بالتوجه بالعبادة لله وحده لا شريك له من مخلوقات الله كما يحقق توحيد الأسماء والصفات.

٢- تحقيق الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله دون تمييز أو تفريق

٣- تحقيق الإيمان باليوم الآخر.

٢- العدل: إذ ركزت نصوص القرآن والسنة على مفهوم العدل، فمن الأمثلة القرآنية قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ) (النحل:٩٠)، وقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ) (المائدة:٨)

٣- العلم: جاء المنهج القرآني العظيم لينظم العقل الإنساني ويعيد ترتيبه، وفق منهجه وتصوره الرصين ويفتح له الأفق له فيعرف بربه من خلال تفكره في آياته في الكون والنفس، فإن أول ما نزل به الوحي على النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- قول الله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (العلق:١)، وجاءت السنة المطهرة لتحتفي بالعقل وما ينتج عنه من علم نافع وأكبر دليل على ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جعل فداء أسرى بدر، تعليم الأسير منهم عشرة أبناء من الأنصار القراءة والكتابة.

٤- الأخلاق الفاضلة: إذ إن القرآن الكريم دستور جامع لتربية الأفراد والجماعات تربية قويمة في جميع مناحي الحياة. العمل: إذ يشيّد صرح الحضارة، والإسلام يحث على العمل، وقد ورد أن نبي الإسلام كان يستعيذ بالله من العجز والكسل.

٥- القيم النبيلة.

تتمثل تلك القيم فيما يلي:

١-الأخوة الإنسانية.

٢-حرية الاعتقاد.

٣-التعاون على النفع العام.

أهم خصائص الحضارة الإسلامية.

إذا كان لكل حضارة خصائص تميزها فأهم الخصائص التي تتميز بها الحضارة الإسلامية تتلخص فيما يلي:

١- أنها حضارة تمزج بين العقل والروح.

فقد فامتازت هذه الحضارة عن كثير من الحضارات السابقة والتي كانت عبارة عن مجرد إمبراطوريات ليس لها أساس من علم ودين.

٢- التسامح الديني.

فقد ساعدت مساحة التسامح الديني التي تتمتع بها الثقافة الإسلامية على خلق شبكة متعددة من الثقافات المتعددة اجتمع فيها المثقفون المسلمون والنصارى واليهود، مما أتاح وجود أعظم فترة من الإبداع الفلسفي في العصور الوسطى وذلك في الفترة من القرن الثامن وحتى الثالث عشر ميلادي.

٣- الإنسانية

حيث إن الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية تساهم فيها كل أعراق الأرض فيجتمع فيها الأوربي مع الإفريقي مع العربي مع الصيني لا فرق بين عرق وعرق أو لون ولون الكل عباد الله إخوانا وكان من نتيجة ذلك أنها حضارة متعددة النكهات.

٤- وحدة الرصيد المشترك.

ومعناه أن الحضارة الإسلامية تسلم بكل العطاء البشري في جميع المجالات سواء كان فكريا أو ثقافيا أو قيميا أخلاقيا طالما أنه يتوافق مع المنهج القرآني وشرائعه.

٥- الترحيب بالحوار الحضاري.

إن التعاون على خير ونفع البشرية هو غاية الحضارة الإسلامية وهذه الخصيصة خصيصة قرآنية عظيمة يقول تعالى: هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البرِّ[9] والتقوى؛ أي: لِيُعِنْ

[9] ** صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٨٩٣

بعضُكم بعضًا، وتحَاثُّوا على أمر الله - تعالى - واعمَلوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه، وامتنعوا منه، وهذا موافق لِما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (الدالُّ على الخير كفاعله)** وقد قيل: الدال على الشرِّ كصانعه، والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه؛ فواجبٌ على العالِم أن يعين الناس بعلمه فيعلِّمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهِرين كاليد الواحدة؛ (المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتِهم أدناهم، وهم يد على من سواهم)، ويجب الإعراضُ عن المتعدي، وتركُ النصرة له، وردُّه عما هو عليه)** (١)

فالحوار الحضاري فيما تجمع عليه البشرية هو غاية المنهج الحضاري القرآني الذي يحترم خصوصية الآخر تحت أي ذريعة من الذرائع. كما أنه لا يسعى أبدا لبسط نفوذه عليه بهدف إجباره على تصوراته وأفكاره وثقافته.

المبحث الرابع: الحضارة الغربية بين التقدم الحضاري والفساد الأخلاقي.

بين يدي هذا المبحث:

تتفق جميع الحضارات الوضعية على كينونة المادية وأنه محور هذا الكون وسيده كما تؤمن بمبدأ التفوق النوعي وهذا ما يجلنا نصفها بأنها عنصرية بامتياز كما أنها تتفق بشكل متفاوت على رفض التفسير الرباني لكينونة الإنسان ومنهجه وغاياته ولذا كان كل إنتاجها معبرا عن تصورها.

سنناقش هذا الموضوع من خلال ثلاثة محاور كما يلي:

المحور الأول: الحضارة المادية وماهيتها.

المحور الثاني: الحضارة المادية بين الخلط والمغالطة والاستعلاء.

المحور الثالث: الإنسانية بين الانحراف الأخلاقي والتطور التقني والمعرفي.

أولا: الحضارة المادية وماهيتها.

إذا تتبعنا أصول الحضارة الغربية سنجد أنها ذات أصول الرومانية الوثنية قد اختارت عالم الأشياء، وجنحت ببصرها دائمًا نحو المادة والعقل وكان ويممت نظرها دائما إلى

** تخريج مشكاة المصابيح: ج٣ص٣٨١

(١) الجامع لأحكام القرآن: ج٦ص٤٦-٤٧

الأرض، ولذلك نقول إنها حضارة مادية وضعية بحته فهي مادية لأن شغلها الشاغل هو المادة ووضعية لأنها مالت إلى الفكر البشري البحت فليس للجانب الروحي منها نصيب حيث أنها نشأت نشأة وثنية وحتى حينما جاءتهم النصرانية حادوا بها عن أصلها وأدخلوا فيها ما ليس منها حتى أنك لتجد الآثار الرومانية في الديانة النصرانية واضحة ولا تخطئها العين ولذلك نحن لا نستغرب أبدا إذا رأينا أن الحضارة الغربية تناصب الحضارة الإسلامية العداء على طول الخط وإذا تتبعت أسباب هذا العداء ستجد ما يلي:

أولا: أسباب تخص النشأة

ثانيا أسباب تخص المنهج.

ثالثا: أسباب تخص المنتج الحضاري.

فأما أسباب النشأة فقد ذكرنا أن الحضارة الإسلامية هي حضارة ربانية ذات منهج تربوي قرآني ولذلك فهي حضارة روحية تميل إلى السمو الروحي والقيمي والأخلاقي أكثر بكل أبعاده.

أما الحضارة الغربية فذات نشأة مادية بشرية قد اعتمدت على العقل البشري الآبق عن المنهج الإلهي بكل أشكاله ولذلك تتسم بأنها تميل إلى النفس وما تحمل من شهوات وملذات وعنصرية.

أما الأسباب التي تخص المنهج.

سنجد أن الحضارة الإسلامية ذات منهج واضح متجدد مرتبط بالسماء وما يأتي منها عن طريق أنبياء الله ورسله.

أما الحضارة الغربية فهي تمثل الحضارة الخارجة عن نطاق التربية الربانية القاصرة عن تحقيق الأهداف المرجوة منها فقد تسعد البشرية في المجال التقني ولكنها تشقيهم في المجال الروحي والأخلاقي ومرد ذلك إلى سببين:

أولهما: رعونات النفس الإنسانية وأهواؤها التي إن تركت بغير حسيب ولا رقيب فأن تحمل أصحابها على الظلم والطغيان في الأرض وهذا ما نراه عيانا بيانا من الحضارة.

وثانيهما: عدم وجود المنهج الضابط الذي يبن للناس حقيقة الخير والشر مما أدي إلى وقوعهم في متاهات المواضعات والأعراف النسبية، والمقاييس المتعددة المتضاربة لمعنى الخير والشر.

وأما الأسباب التي تخص المنتج الحضاري

فنقول إن غاية الحضارة الإسلامية هو ربط كل المنتج الحضاري بأساسه القرآني من أجل تحقيق الغاية من خلق الإنسان وهي خلافة الله في أرضه.

أما الحضارة الغربية فقائمة على أن الإنسان سيد ذاته يفعل ما يراه مناسبا لحياته وفق إرادته وبما يحقق ملذاته وشهواته وبالتالي هو يرى الدين عائقا له في تحقيق طموحاته الذاتية ومن هنا تولدت تلك المغالطة التي تقول إنه لا تقدم للبشرية إلا بالبعد عن الدين والقضاء عليه وقد تولدت من هذه المغالطة أقوال لعل أشهرها مقولة أن الدين أفيون الشعوب ومقولة أنه لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة وغيرها من المقولات كما ولدت مناهج تقوم على هذه المغالطة لعل أشهرها الغاية تبرر الوسيلة.

إن ربط التقدم الحضاري الغربي بالمنهج الثقافي والأخلاقي والقيمي الذي يعيشه الغرب هو الخسارة الكبرى لأهل الأرض جميعا حيث إنهم يصدرون للناس هذا المعتقد لا ليدفعوا الناس إلى التقدم والرقي كما يزعمون وإنما لكي يفرغوا قلوبهم من الدين فيصبحوا كائنات هلامية منزوعي الهوية وبالتالي يسهل السيطرة عليهم واستغلالهم لتحقيق مآربهم العنصرية.

ثانيا: الحضارة الغربية بين الخلط والمغالطة والاستعلاء.

من المعلوم ذلك الصراع الذي حدث بين العلم والدين والذي انتهى بانتصار العلم بسبب انحراف المسيحية عن النهج الرباني التي نزلت به وجنوحها إلى الهرطقات والمغالطات العقدية وتبديلها لآيات الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام فلما انتصر العلم وأصبح هو الأصل والمرجع، ظن الغرب أن كل الأديان سواء وأنها وإن تعددت وتنوعت فغايتها واحدة مثل المسيحية تريد أن تتحكم في الإنسان وتقهره وتجعله تابعا ذليلا يؤدي ما عليه من مكوس ومن كل شيء مطلوب منه دون أن يكون له الحق في أي شيء.

والحقيقة أن الغرب قد وقع في مغالطة كبرى بهذا الحكم الجائر لعدة أساب أهمها:

أولا: أن الأديان ليست سواء الأديان فهناك الأديان البشرية المصدر وهناك الأديان السماوية.

الثاني: أنه من الجور أن يجمع بين المسيحية المحرفة والمنحرفة وبين الإسلام الغض الذي لم تمد إليه يد العبث والإفساد لأن الله تكفل بحفظه.

الثالث: أن النصرانية لو سلمنا جدلا أنها دين فإنه دين ناقص لأنه لا يملك الشرائع التي تسير الحياة على عكس الإسلام الذي يملك العقيدة النقية والعبادة العبادة الصحيحة والشريعة القويمة والأخلاق والقيم النبيلة.

ومن هنا نقول ما يلي:

أولا: إن المسيحية التي يناصبونها العداء وإن كنت تأخذ صورة الدين فإنها ليست دينا من الأساس فهي ليست الدين الذي جاء بها عيسى عليه السلام كما أن اليهودية ليست هي الدين الذي بعث به موسى عليه السلام فقد أدخل فيهما ما ليس منها وحرفت نصوصهما.

ثانيا: لقد ورث الغرب كره المسيحية واليهودية للإسلام ولم يكلف نفسه عناء البحث عن الصحيح من السقيم من الأديان وهذا سهل ميسور إذا توفرت النية الصادقة وصدقت الغاية لذلك.

ثالثا: لقد أعمى هذا الكره وهذا الحقد أعين الغرب حينما أغفلوا دراسة الإسلام وعقيدته وأخلاقه وقيمه ليستفيدوا منه في بناء حضارتهم.

رابعا: إن أساءة الفهم والحكم زاد العداء عداء فالحقيقة تقول إذا كان الفهم سقيما فلابد أن يكون الحكم باطلا وإذا كان الحكم باطلا كانت النتيجة عقيمة وغير مثمرة وهذه هي الدائرة المغلقة الذي يعيش فيها عالمنا في عصره الحديث.

خامسا: إن هذا العداء قد أعمى قلوب صناع السياسة وأصحاب الفكر تجاه الإسلام وذهبوا في غيهم وراحوا يروجوا للأباطيل عن الإسلام ومنهجه دون دليل وذلك عن طريق المراكز الاستشراقية التي تهتم بدراسة الإسلام ليس من أجل استجلاء الحقيقة وإنما للتشكيك فيه واظهاره بمظهر الدين الهرم العاجز الذي لا يستطيع مسايرة الواقع.

سادسا: في الوقت الذين يناصبون فيه العداء للكنيسة ورجالها يقدمون لها الدعم الغير محدود لتبشر بالنصرانية في العالم ومآربهم في ذلك متعددة وتتمثل فيما يلي:

١-الحد من انتشار الأديان الأخرى وخاصة الإسلام.

٢-هم يعلمون هشاشة النصرانية وبالتالي فهي سهلة إذا حان وقت القضاء عليها على عكس الإسلام العظيم الذين بذلوا في حربه الغالي والنفيس فلم يفلحوا بل هو من يغزوهم في ديارهم.

سابعا: نقول إن الفكر الغربي في أصله فكر فلسفي مادي اختلط بالنصرانية فرودها وأدخل فيها ما ليس منها فأفسدها فلما فسدت انقلب عليها وتبرأ منها.

ثامنا: أن علاقة الغرب باليهودية واليهود لم تكن يوما علاقة أناس بدين ولكن كانت مبنية على أساس المصلحة وتبادل المنافع وهذا يفسر احجام الأوربيون عن الدخول في اليهودية.

تاسعا: على مر التاريخ كان صراع الغرب مع الإسلام هي حرب عنصرية جهوية ذات أبعاد نفعية مادية بحتة بالتالي ما أطلق عليها الحروب الصليبية ماهي إلا أكذوبة رخيصة.

عاشرا: أن الفكر الغربي في العصر الحديث هو منهج عديم الروحانية محوره الرئيس هو الإنسان بأبعاده المادية الحيوانية الذي من مبادئه:

١-العداء المطلق لكل الأديان والمناهج وفي القلب منها المنهج القرآني العظيم.

٢-المبالغة في الحرية الشخصية حتى تعدوا كل حدود الفطرة وذهبوا بالإنسان وأخلاقه وقيمه مذهبا أبعد عن الحيوان بمراحل كثيرة فإن كان الحيوان بما فطره الله تعالى عليه من صفات ونزعات حيوانية وافتراس هدفها البقاء لنوعه وجنسه فقط فإن الإنسان قد تعداه بمراحل لأنه يفكر في طريقة الافتراس والتوحش والاعتداء لينهي على أعداءه الذين توهم فيهم العداء أو احتمال العداء.

ثالثا: إنسانية هذا العصر بين الانحراف الأخلاقي والتطور التقني والمعرفي

هناك مغالطة يروجها الحداثيون بين كثير من الناس في هذا العصر ويحاولون ترسيخها في آذانهم وهي طالما أن الغرب هو قائد البشرية وزعيمها بسبب ما لديه من قوة اقتصادية

قائمة على ريادة علمية تقنية هائلة وقوة عسكرية جبارة باطشة فلما لا نتبعه في كل شيء في أفكاره ومعتقداته وأخلاقه وقيمه حتى نصل لما هو عليه من التقدم والازدهار؟

وللإجابة على هذا السؤال المخادع وتلك المغالطة الفاجرة لابد لنا أن نناقش بعض القضايا التالية:

أولا: قضية الانحراف الفكري:

نقول حينما توغل الغرب في الذاتية وتوسع فيها وانغلق ورفض كل المناهج سواء كانت دينية أو بشرية واعتز بنفسه استعلى على الجميع دفعه هذا الانغلاق والرفض إلى صناعة مبادئ وقيم منبثقه عن فلسفاته تبرر له ما هو عليه من الجنوح والجنون فهو يمارس الشاذ من الأفكار والأعمال ثم يبرر لما هو عليه فعلى سبيل المثال هو من أيقظ المثلية التي تتنافى مع الفطرة ويؤصل لها ويساهم في نشرها ويبرر لذلك كما أنه هو من أيقظ العنصرية البغيضة وأحياها بعد موات بل وجنح بها إلى أسفل سافلين حيث أن العنصرية الغربية تساوي بين الكلب والإنسان الأسود وتبرر لذلك أيضا وهو من روج للانحلال تحت ما يسمى الحرية الشخصية ويبرر لذلك وهو من يستحل اغتصاب مقدرات الغير والاستفادة منها ويبرر لنشر الحروب بل قد يصنع حربا يضيع فيها ملايين البشر من أجل حفنة من الدولارات تدخل خزائنه.

إن ممارسة الغرب للمنهج العلمي المادي التجريدي في الحكم على الأشاء والأفكار قد ضيع عليه أهم جانب من جوانب الحياة وهو حاجته لخالقه كما أنه أمات فطرته ونكسها وطاش بفكره فراح يقرر ما لا يتفق مع العقل والمنطق وأصدق مثال على هذا الطيش والجنون التأصيل للمثلية والترويج لها وحمايتها بل ومحاولة إلزام الناس بها، وهذا يعد جريمة كبرى في حق الإنسانية جمعاء فالإنسان في التصور الغربي مجرد كائن مجهول الأصل ولو افترض أن له أصل فقد جاء نتيجة تفاعل معقد بين المادة والحرارة أو هو كائن متطور عن القردة العليا أو هو الكائن الباقي من الجنس البشراني الذي لا يعلم كينونته ولا ماهيته.

ثانيا: إن اقررهم بالمثلية وحق المثليين في الحياة يخالف الفطرة السليمة والعقل الصحيح الشرائع القويمة والأخلاق والمبادئ والقيم المجمع عليها هو خروج صريح عن الدرس التاريخي في دراسة الإنسان وهو خروج عن الدرس الطبيعي للإنسان وأيضا خروج عن

الدرس الاجتماعي وأنهم بخروجهم هذا اتبعوا أسلافهم من قوم لوط الذين عنفهم الله بقوله تعالى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ۟ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ) (العنكبوت:٢٨) يقول صاحب الوسيط: أتفعلون تلك الفعلة التي بلغت نهاية القبح والفحش، والتي ما فعلها أحد قبلكم في زمن من الأزمان فأنتم أول من ابتدعها فعليكم وزرها ووزر من عملها إلى يوم القيامة، والاستفهام، للإنكار والتوبيخ قال عمر بن دينار: «ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط» . وقال الوليد بن عبد الملك: «لولا أن الله قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا» والباء في بِها كما قال الزمخشري- للتعدية، من قولك سبقته بالكرة إذا ضربتها قبله ومن قوله صلّى الله عليه وسلّم: «سبقك بها عكاشة» ومِنْ في قوله: مِنْ أَحَدٍ لتأكيد النفي وعمومه المستغرق لكل البشر. والجملة- كما قال أبو السعود- مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع، فإن مباشرة القبح قبيح واختراعه أقبح، فأنكر عليهم أولا إتيان الفاحشة، ثم وبخهم بأنهم أول من عملها»

ومن هنا نقول ما يلي:

١- أن نظرة الغرب للإنسان نظرة متدنية وإن رفعوا شعار الإنسانية والحرية وغرها من الشعارات الجوفاء الخالة من محتواها وأصدق مثال على ذلك أنهم غير متفقين على أصل الإنسان ويعتريهم التردد والتخبط وقد أثر هذا التخبط في نظرتهم لنوع الإنسان هل هو مكون من ذكر وأنثى فقط أم أكثر من نوع فالذين يقولون بالنوعين هم من يميلون إلى الدين بشكل من الأشكال وبالتالي هم يرفضون المثلية وجميع الأشكال الشاذة.

أما المؤمنون بالتعدد في النوع فهم يقرون بوجود المثلية وهم الأغلبية يدافعون عنها ويؤصلون لها حتى ولو كانت ضد الفطرة والعقل وضد الأنسنة التي يتحلى بها الإنسان بين المخلوقات.

٢- إن الغرب يجنح بالإنسانية إلى مهاوى الهلاك من عدة نواحي تتلخص فيما يلي:

أولا: التعرض لسخط الله وعقابه القائم على الاستأصال الكامل يقول تعالى: (فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظالمين بِبَعِيدٍ) (هود:٨٢-٨٣) والمعنى أن هؤلاء الذين قلبوا فطرة الله في خلقه

فأتو الذكران وتركوا ما خلق لهم ربهم من أزواجهم اللاتي جلهن الله لهم سكنا جعلنا أعلى بيوتهم أسفلها ، بأن قلبناها عليهم ، وهى عقوبة مناسبة لجريمتهم النكراء.

٣- يعرضون البشرية للفناء بسبب الأمراض التي تنتج عن التقاء الذكر بالذكر وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

[10]إذ يقول: (لم تَظْهرِ الفاحِشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلِنُوا بِها إلا فَشا فِيهمُ (الطاعونُ و) الأَوجاعُ التِي لم تكنْ في أسلافِهم،)**

٤- هدم بنيان الخالق في بني الإنسان فمازالت هذه النطفة الذكرية التي ألقيت في ذكر تعمل في النفس فتفسدها وتحول صاحبها إلى مسخ بلا هوية فتفسد عليه حياته ودنياه فكيف حاله وهو يعامل كالأنثى وهذا ضد فطرته التي خلقه الله عليها...إنه يعيش منتكس النفس والفكر منحط الضمير شاذ الطباع فاسد مفسد خرج ملعون في الأرض وملعون في السماء

فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لعن الله من عمل عمل قوم لوط ثلاثا) ولم يجئ عنه صلى الله عليه وسلم لعنة الزاني ثلاث مرات في حديث واحد، وقد لعن جماعة من أهل الكبائر فلم يتجاوز بهم في اللعن مرة واحدة، وكرر لعن اللوطية وأكده ثلاث مرات. لأن هذا الفعل المشين خارج بالكلية عن نطاق البشرية ومجافى تماما للفطرة الحيوانية فالحيوانات تأبى أن يفعل بها هذا الفعل المشين.

٥- والسؤال هنا هل يليق ببني الإنسان بصفة عامة أن يتبعوا أمثال هؤلاء الذين خالفو الفطرة والعقل والإنسانية أن يكونوا قدوة لهم إن العقل يقول لا وألف لا.... وهل يليق بأمة كرمها الله بمنهج رباني قويم أن تكون تابعة لأخس مخلوقات الله في الأرض لمجرد أنهم يملكون من التقنية والتقدم والمعرفة التي هي في الأصل ترجع في جذورها إلى أمتنا المجيدة.

ثانيا: قضية التقدم العلمي والتقني

---

[10] ** صحيح الترغيب المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: مكتبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٣ (برقم٧٦٤)

نقول إن التقدم العلمي وإن كان الغرب قد خطا فيه خطوات واسعة تحسب له فهو نتيجة لرصيد معرفي تمتلكه البشرية جمعاء ولم يخترعه الغرب من تلقاء نفسه ومعلوم أن أمة الإسلام هي آخر أمة كانت تمتلك زمام العلم والتقنية قبل الغرب ومعلوم أيضا أن الغرب قد حصل على كل المراجع العلمية من خلال الحروب التي شنها الغرب على أمة الإسلام وعلى رأسها حروب الأندلس التي خلفت ثروة علمية إسلامية لا تقدر بثمن غنمها الصليبيون أضف إلى ذلك السرقات التي كانت تحدث للمكتبات الإسلامية في بغداد والقاهرة ودمشق.

لقد استغل الغرب هذه الحصيلة العلمية وأقام عليها حضارته وتقدمه فلما ملك زمام أمر العلم قام بإجراءات تعسفية ضد العالم الخارجي وفي القلب منهم المسلمين تتمثل فيما يلي:

أولا: استأثر بالعلم ونتائج بحوثه وجعله حكرا عليه وعلى من يدور في فلكه من غير المسلمين.

ثانيا: توجيه العلم بما يخدم أفكاره ومعتقداته وخير مثال على ذلك علم الهندسة الوراثية وما يحدث فيه وما يترتب عليه من مضار.

أما بالنسبة للعالم الإسلامي الذي استفاد من حضارته وورث علومه فلم يرد لهم الجميل بإشراكهم في هذا المنتج بل قام بإجراءات أشد قساوة ضده تتمثل فيما يلي:

أولا: حظره على الدول الإسلامية كل أنواع العلوم وخاصة التقنية منه.

ثانيا زرع أنظمة فاسدة عميلة تحكم بالحديد والنار وفرض عليها ما يلي:

١- تقييد البحث العلمي وعدم الإنفاق عليه.

٢- تشجيع الحكام على ممارسة الدكتاتورية مما كان له أكبر في هروب الكثير من العقول المسلمة إلى الغرب.

٣- الترحيب بالعقول المهاجرة إليهم ووتقديم الإغراءات المادية لهم مع تسهيل منحم الجنسية حتى يضمنوا عدم عودتها.

٤- قتل أصحاب العقول المتميزة إذا أصرت على العودة إلى بلادها.

٥- اسكات صوت كل من يدعوا إلى النهضة وفق المنهج الإسلامي مع ترك المجال واسعا أمام كل من ينادي بالتبعية للغرب والنهضة وفق أفكاره معتقداته.

٦- تصدير وترويج وتشجيع انتشار الفرية التي تقول إن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين وأنه إذا أراد المسلمون التقدم فلابد أن يتخلوا عن الإسلام ومبادئه وأخلاقه كل هذا حتى يصير المسلمون في ذيل الأمم ويستمروا في موقع التابع الذليل، المستهلك فقط.

إن حجب العلم والتقنية عن الأمة جريمة يشترك فيها الغرب الكاره للإسلام والمسلمين وأيضا تلك الأنظمة الفاسدة العميلة التي لا تنفق على التعليم تقتل الإبداع وتحظر البحث العلمي وتأتمر بأمر الغرب في كل شؤونها.

إن أمتنا هي أمة اقرأ وهي أمة واعدة سباقة وقد أثبتت جدارتها في قيادة العالم لمدة ألف عام على الأقل ولم يسبق في تاريخ البشرية أن قوما سادوا البشرية لمدة ألف عام من قبل، أضف إلى ذلك أن أكثر من ثلث علماء الغرب في المجالات العلمية الدقيقة وفي مجال الفضاء هم من المسلمون وأغلب هؤلاء العلماء هم من الملتزمين بأحكام الإسلام ومبادئه وأخلاقه.

إن تخلف أمتنا هو بفعل فاعل مع سبق الإصرار والترصد. ومن هنا نقول هذه الحقائق: إن الانحراف الأخلاقي ليس له علاقة من قريب أو بعيد بالتقدم العلمي وإن ذلك مجرد فرية ذات أغراض خبيثة هدفها تيئيس الأمة من دينها وربط تقدمها بالفساد والإفساد وهذا باطل محض ودليل ذلك أن هناك أمم تقدمت دون أن تأخذ بقيم الغرب وأخلاقه وأذكر هنا مثالين:

الأول: دولة ماليزيا تلك الدولة المسلمة المتقدمة التي لم تتخل عن دينها مقابل تقدمها الثاني: دولة الصين ودولة اليابان وهما دولتين غير مسلمتين ولكنهما تملكان قيما محلية مختلفة عن قيم الغرب هما في مكانة مميزة في التقدم العلمي والتقني. إن الغرب هو أكبر رمز للصوصية والاحتكار والانحلال والعنصرية وزعامته مبنية على هذه الأربعة ومن كان كذلك فهو لا يستحق الزعامة ولا الريادة بل نتوقع سقوطه في قابل الأيام.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات له الشكر والثناء الحسن أن وفقنا على إتمام هذا العمل ولا يسعني إلا أن أقول: (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم) (البقرة: ١٢٧) فبعد هذا الجهد المتواضع أتم الله علي النعمة بالانتهاء من هذا البحث الذي هو بعنوان: الإنسان وعوامل التقدم الحضاري بين المنهج القرآني والمنهج المادي

المصادر والمراجع

١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة عدد الأجزاء: ٦

٢- تاريخ ابن خلدون= ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ١

٣- تفسير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء : ٣٠

٤- تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١

٤- تفسير الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠

٥- تفسير الفخر الرازي= التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٦- تفسير في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب الناشر: دار الشروق للنشر; دار الأصول العلمية سنة٢٠١٩

٧- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ١٢ جزءا

٨- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ

٩- تفسير الوسيط تفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى.

١٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩

١١- الحضارة الإسلامية المؤلف: أحمد عبد الرحيم السايح الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة العاشرة - العدد الثالث- ذو الحجة ١٣٩٧هـ- نوفمبر تشرين ثاني ١٩٧٧م عدد الأجزاء: ١

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦

١٣- صحيح الجامع الصغير وزياداته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد الأجزاء: ٢

١٤- العرب والحضارة العلمية الحديثة المؤلف سمير عبده ١٤٠٢هـ الناشر دار الآفاق الجديدة بيروت.

١٥- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم

العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م عدد الأجزاء:١

١٦- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥ مادة عقل.

١٧- مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م عدد الأجزاء: ١

١٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت عدد الأجزاء: ٥

١٩- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، المؤلف: مالك بن نبي دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ترجمة الدكتور بسام بركة، الدكتور أحمد شعبو، إشراف وتقديم المحامي عمر مسقاوي، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٠- منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة دراسة نقدية في ضوء الإسلام المؤلف المؤلف محمد عطا محمد أبو سمعا رسالة ماجستير مقدمة للجامعة الإسلامية بغزة فلسطين كلية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.